اجتهادات
لمن تُقرع الأجراس؟

تبدو الرواية فى كثير من الأحيان أكثر تعبيرا عن آلام الإنسان ومخاوفه مقارنة بأشكال الإبداع الأدبى الأخري. وهذا هو مصدر المكانة التى تحظى بها روايات كثيرة، وتؤدى إلى استمرار الإقبال على قراءتها، بعد عقود طويلة على إصدارها. ومن هذه الروايات رائعة الكاتب الأمريكى إرنست هيمنجواى «لمن تُقرع الأجراس» التى تمر هذا العام الذكرى السنوية الثمانون لإصدارها عام 1940. إنها إحدى أهم الروايات التى عبرت عن فظائع الحرب وبشاعتها، على نحو يجعلها بمنزلة صيحة ضد العنف، ودعوة، وربما ابتهال، من أجل السلام، لأن كاتبها عاش أهوال الحرب الأهلية الإسبانية. فقد ذهب إلى إسبانيا عام 1936 مراسلاً لإحدى الصحف. ولكنه تعاطف مع القوى الجمهورية، التى كان عمادها الأساسى منظمات وأحزابا يسارية مختلفة وحدتها المواجهة ضد فاشية القوى الملكية0 ولكن الصراعات بينها لم تلبث أن تجددت خلال الحرب، خاصة بين الحزب الشيوعى الموالى لموسكو، والحزب العالمى الموحد ومنظمة يسار كاتالونيا. وهما جماعتان تبنتا أفكار ليون تروتسكي، الذى انشق على الحزب الشيوعى السوفيتي، فعدته موسكو أحد أهم أعدائها، ودبرت لاغتياله فى المكسيك فى العام نفسه الذى نُشرت فيه الرواية. واكتشف هيمنجواى ما تفعله الحرب فى عقول البشر وقلوبهم، وكيف تحولهم وحوشا، فيصبح القتل أمرا عاديا، وتتبدل التحالفات والولاءات وفق مقتضيات المصالح، ويصير حلفاء الأمس أعداء اليوم، كما حدث فى صفوف القوى الجمهورية. أبدع هيمنجواى فى تصوير فظائع الحرب من

خلال أحداث تدور فى أربعة أيام فقط، وأبطالها شخصيات خيالية وأخرى حقيقية وثالثة مستوحاة من أشخاص فى الواقع، فى إطار بناء درامى يرتكز على التفاعل داخل مجموعة مسلحة تنتمى إلى المعسكر الجمهورى كُلفت بنسف جسر يستخدمه مسلحو القوى الملكية. ولكن المتخصص فى عمليات التفجير اكتشف حبه لإحدى زميلاته فى المجموعة، وعدم رغبته فى الموت الذى لا مفر منه إذا نفذ العملية. ولكنه فى النهاية يَقدم على تنفيذها، ويروح ضحية للحرب فى لحظة تمنى فيها سلاما يُمكَّنه من أن يعيش مع حبيبته، التى ودعها فى مشهد مؤلم صوَّر فيه هيمنجواى أعماق العاطفة الإنسانية فى زمن الحرب.